

نحن الرجال وهم أشباه رجال روبيضات

في الآونة الأخيرة التي تمر بها أمة الإسلام، يقف المرء متسائلاً - وحق له أن يتساءل: هل خلع رداء العزة واستبدال رداء الذل والمهانة به هو ديدن من يتاجر بالأمة ومقدراتها وخيراتها؟ هل خلت الأمة من الأعزاء الأتقياء، حتى ينطق السفهاء عنهم؟ والسؤال الأخير، الذي يترك في النفس غصة، هل بقي من الزمان بقدر ما قد أدبر منه؟

حتى يُجاب على هذه الأسئلة، يجب أن نعود إلى الزمان الماضي، حتى نأخذ العبر منه. حيث إن الأمة كان الخير، وما زال فيها، وكان هناك من ينصح من أجل أمته ومستقبلها، وليس هذا فحسب، بل ويقف أمام الظلم وأعدائه ليصحح الوضع.

اقتطع الرسول الكريم ﷺ جبل الملح لوائل في اليمن، حيث جاء في الحديث الشريف، عن أبيض بن حمال: أنه وفد إلى النبي ﷺ استقطعه الملح، فقطع له، فلما أن ولي قال رجل من المجلس: "أندري ما أقطعت له؟ إنما أقطعت الماء العذ"، قال: «فانتزعه منه»، قال: وسأله عما يحمي من الأراك، فقال: «ما لم تنله خفاف الإبل» رواه الترمذي وأبو داود. فها هم الصحابة رضوان الله عليهم، لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الرسول الكريم ﷺ، وأخبروه بالواقع، ولم ينتفض الرسول ﷺ، ويقول أن أمره لا اعتراض عليه، ولا نصح فيه، بل سمع منهم، وعلم أنه لا يستقيم الأمر بهذه القسمة، وأن للأمة حقاً فيه، حيث إن الرسول ﷺ لم يكن يعلم أنه أقطعه المعدن العذ الذي لا ينقطع، فانتزعه منه. ويجب أن نتنبه هنا في هذا الحديث، أن الصحابة لم يعترضوا على حكم شرعي، فما كان للرسول ﷺ أن يحكم بغير ما أنزل الله، بل نبهوه إلى أن الواقع مختلف عما يظنه.

أما في هذا الزمان، فالقول للحاكم، لا يُراجع فيه، ولا يحاسب عليه، ولو خالف الشرع، ومن يقف على أمره يعد خارجاً عن سيادته، وانقلاباً، كما حصل في تونس ومصر، أو حتى في بلاد الحجاز.

وها هو الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أرض سواد العراق، يثبت إبداعاته في تحقيق مصالح العباد وكفالة وحماية كل ما هو ضروري لاستمرار حياتهم واستقامتها، ولدفع ما يفسد عليهم حياتهم. وعالمنا الإسلامي بصورة خاصة وسوء التوزيع واقتصار عوائد هذه الثروات على مجموعة ضيقة وعلى أشخاص محدودين يجعلنا نقول ما أشبه اليوم بالأمس! ما أحوجنا لعمر بن الخطاب! فهو رجل المناسبة، وما أحوجنا إلى الاجتهاد والإبداع من حكامنا، والابتعاد عن المحاكاة والنقل من غير المؤهلين الذين أضرونا وأضاعونا، ففقدنا الاتجاه والمكان والرؤيا!

وهذه الأمثلة وغيرها أمثلة مضيئة تبقى إلى يوم القيامة نبراساً لنا في الخير والبركة.

إن هؤلاء الرجال من الصحابة باقتدائنا بهم نتهدي، فيجب أن نسير على خطاهم من أجل أن نحافظ على خيرات أمتنا ومقدراتنا، وهؤلاء بعيدون كل البعد عن الذل والخيانة لأمتهم ودينهم الحنيف.

فهل خلت الأمة ممن يتكلم عنها وعن مصالحتها، حتى يتحدث عنها الخونة لها؟

الجواب على هذا ليس بالأمر الصعب، فهذا هو سفير المسلمين ربيعي بن عامر، عندما طلب رستم من سعد رضي الله عنه أن يبعث إليه رجلاً من رجاله، اختار له سعد رضي الله عنه أسدًا من أسوده، وهو ربيعي بن عامر رضي الله عنه، وقبل قدوم ربيعي رضي الله عنه لجأ رستم إلى طريقة الإغراء، فزين له مجالسه بالنمارق، وأظهر اللآلئ والياقوت والأحجار الكريمة، بيد أنهم فوجئوا برجل قصير القامة، عليه ثياب صفيقة، وأسلحة متواضعة، وفرس صغير، ولم يزل ربيعي رضي الله عنه راكبًا فرسه حتى داست على الديباج والحريز، ثم نزل عنها وربطها في قطع من الحريز مزقتها، وأقبل على رستم فقالوا له: "ضع سلاحك"، فقال: "إني لم آتيكم، وإنما دعوتوني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت"، فقال رستم: "ائذنوا له"، فأقبل رضي الله عنه يتوكأ على رمح فوق النمارق، فحرق أكثرها، فقال له رستم: "ما الذي جاء بكم؟"، فقال، ويا نَعَمَ ما قال: "إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبي قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله"، فقال رستم "وما موعود الله؟"، قال: "الجنة لمن مات على قتال من أبي والظفر لمن بقي"، قال رستم: "قد سمعت مقالتك، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟"، قال: "نعم كم أحب إليكم؟ يوماً أو يومين؟"، قال: "لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا"، فقال: "ما سن لنا رسول الله ﷺ أن تؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل"، قال رستم: "أسيدهم أنت؟"، قال: "لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أديانهم على أعلاهم"، فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: "هل رأيتم قط أعز وأرحح من كلام هذا الرجل؟" فقالوا: "معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب! أما ترى من ثيابه؟"، فقال: "ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصنون الأحساب".

وتلك قصة الفتى الذي دخل على خامس الخلفاء الراشدين، حيث دخل على عمر بن عبد العزيز وفد الحجاز وقدمهم غلام صغير لا تزيد سنه عن عشر سنوات، تضايق الخليفة، فقال: "أيها الغلام اجلس ليقيم من هو أكبر منك سنًا"، فقال هذا الغلام: "أصلح الله الأمير، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر كما تقول لكان في الأمة من هو أحق منك بالكلام في هذا المجلس".

وتلك قصة الغلام الذي تقدم وقد دخل على عبد الملك بن مروان، فقال لحاجبه: "ما شاء أحد أن يدخل علي إلا دخل حتى الصبيان؟" فقال هذا الغلام: "أصلح الله الأمير إن دخولي عليك لم ينقص من قدرك لكنه شرفني، أصابتنا سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم ومعكم فضول أموال، فإن كانت لكم فتصدقوا بها علينا، وإن كانت لله فتصدقوا بها على عباده وإن كانت لنا فعلام تحجزوها عنا؟" فقال: "والله ما ترك لنا هذا الغلام في واحدة عذراً."

وهذه القصة وغيرها تدل على أن الأمر ليس بالعمر أو الشكل، بل بحسن التصرف والتدبير.

وهنا نتكلم عن خير ثورة، وخير أجناد الأرض، ثورة الشام وأهلها، يمثلهم أشباه رجال، لا يتكلمون إلا بما أُذن لهم، ولا يتصرفون إلا بما سُح لهم!

إن هذه الأمة، ومنها أهلنا في الشام، يستحقون الرجال الرجال يتكلمون عنهم ويدافعون عن حقوقهم، ويدبرون أمورهم. إن هذا الأمة بحمد الله وعونه قد أنجبت الرجال، ونما الغرس الذي غرسه الله تعالى فيها، فقد خرج من بين أظهرهم من يدافع عن الإسلام ويحمي بيضته، ويقف للكافر المستعمر على كل صغيرة وكبيرة، ولا يترك شاردة ولا واردة إلا له فيها مقال وكلام مما سنّ الرسول ﷺ، وجاء في القرآن. إن هذه الأمة الكريمة لا يتصرف في أمرها سوى من كان مخلصاً لها ولدينها الذي ارتضاه ربها لها، ولا يتحكم بمقدراتها رويضات عملاء للغرب الكافر. علينا أن نعلم، أن الأمة فيها من المخلصين الكثير، ومنهم شباب حزب التحرير، وهم جزء لا يتجزأ من المسلمين، يعملون لرفعة الأمة، ولعزة الإسلام.

فيا أيتها الأمة الكريمة! إن حزب التحرير وشبابه قد خبرتموهم، وهم منكم وأنتم منهم، وعلمتم أنهم لا يرجون سوى مرضاة الله ثم مصلحتكم، فسلموا أمركم لهم، حتى يعيدوا حقوقكم ويحفظوا دينكم، فالأمر جد لا هزل، وقد ضاق عليكم وعلينا، فسلموهم أمركم حتى يأخذوا بأيديكم إلى بر الأمان، ففيه نجاتكم وخلاصكم من الرويضات. هلموا لإعادة الأمور إلى نصابها، وأصحابها، واعملوا معنا إلى عزكم ورفعتمكم، بإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

د. ماهر صالح - أمريكا